السنة السادسة عشرة العدد ١ كانون الثاني ١٩١٣

المشرق

عادات الامم في رؤوس الاعوام

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

يجد المرء في غرّة كلّ سنةٍ يتخطّاها شبهَ حياةٍ يستأنفها فكأنهُ بتوديعهِ لعام أدبر وسلامهِ على عام أقبل يضاعف قواه ويباشر شوطاً جديداً من عمرهِ . واذا انقضى في سنتهِ المنصرمة ما كدّر بالهُ وهيّج بلبالهُ نسي ما نغّص عيشهُ او تناساهُ واحيا املهُ بما ترجّاهُ . فيكون رأس العام كبرزخ بين دهر مضى لا يؤسف عليهِ وعصر وافى يستبشر بخيراتهِ

فلا عجب بعد ذلك انّ الامم كافّة عظّمت رؤوس اعوامها وتفنّنت في استنباط الوسائل لتعرب عن مكنونات صدورها وتجاهر بعواطف قلوبها . فما من احد الّا وحبّ بالعام الميمون واستسلم للفرح وافاض في الادعية بالخير وتمنّى الاماني الصالحة

وقد رأينا بهذه السنة ان نسرح ابصارنا في تاريخ الامم القديمة والحديثة لندوّن لقرّائنا شيئاً من العادات التي تنقلها الناس في بدء سنتهم فانّ في ذلك النظر عبرةً للمعتبر وجدوى للمستفيد

*

غنيّ عن القول انّ الشعوب لم تتّفق على تعيين يوم معلوم يبدأون بهِ سنتهم اذ ليس في فصول السنة ما يستوجب اختيار يوم على آخر فانّ السنة شمسيّةً كانت او قمريّة تجري على نمط واحد فتتناوب الفصول الاربعة من ربيع وصيف ثمّ خريف

وشتاء. فتنزل الشمس في بروجها والقمر في منازله دون ان يقضي يوم منها باختياره وتفضيله على سواه لافتتاح السنة

وعليه ترى الشعوب في تعيين بدء العام قد تباينوا وذهبوا مذاهب شتّى وها نحن نعدّد البعض منها

كانت السنة المصريّة شمسيّة ذات ٣٦٥ يوماً وكانوا في عهد السلالات القديمة يفتتحوها عند طلوع الشعرى اعني في ١٩ الى ٢٠ تموز وذلك لأنّ النيل يأخذ في ذلك الوقت بالتصاعد . ولمّا صارت مصر في حكم اليونان جعلوا يبتدئون سنتهم في شهر توت الموافق سابقاً لليوم ٢٩ من شهر آب شرقيّ و١١ ايلول غربيّ فجعلوا اوّل توت رأس عامهم لوقوع الاعتدال الخريفيّ في وقته وعنهم اخذ نصارى القبط حسابهم مع كبس السنة كلّ اربع سنوات واتّخذوا مثلهم اوّل توت كبدء سنتهم ودعوها بالنّيروز وهي لفظة دخيلة اصلها من الفارسيّة ومعناها اليوم او العام الجديد

وكذلك الفرس والعجم كانت سنتهم شمسيّة كالمصريين الّا انّ بدء سنتهم يقع وقت الاعتدال الربيعيّ او قريباً منهُ فكان اوّل سنتهم في غرّة شهر فروردين ماه الموافق لليوم ١٤ من اذار

وكان البابليّون ثم الكلدان والسريان بعدهم يتبعون السنة الشمسيّة مع بعض اختلاف عن المصريين والفرس فانّ هؤلاء كانوا يجعلون سنتهم ذات ١٢ شهراً متساوياً كلّ شهر منها ٣٠ يوماً ثمّ يضيفون اليها خمسة ايّام لتصبح ٣٦٥ يوماً اما البابليون والسريان فانّهم جعلوا اعداداً مختلفة لكلّ شهر فبعضها ٣٠ وبعضها ٣١ يوماً . اما بدء السنة البابليّة والسريانيّة فكان ايضاً في الاعتدال الربيعي . وعنهم الصينيّون لختاروا هذا الاعتدال لافتتاح سنتهم

كانت السنة اليونانيّة قمريّة شمسيّة ذات ١٢ شهراً قريباً مع الحام شهر زائد على الشهر الثاني المسمّى عندهم باسم اله البحر بوسيدون (Ποσειδων) . اما رأس السنة فاختلفوا فيه فانّ الاثينيين كانوا يبتدئون سنتهم في الانقلاب الصيفي في الشهر المسمّى شهر الذبائح (Ἑκατομβαιών) . اما المقدونيّون فكان اوّل سنتهم في الاعتدال الخريفيّ في شهر المشتري (Δίος) الواقع في ٢٤ ايلول . وكذلك اهل

سيارته . وكان الإيوليُّون يباشرون بسنتهم في الانقلاب الشتويّ في اواخر كانون الاوّل

هذا وكان الله عزَّ وجلَّ عيَّن لشعبه الشهر نيسان كاوّل شهورهم حيث قال لموسى (خروج ١٢: ٢) : «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم اوّل شهور السنة». وفي الرابع عشر منهُ كانوا يحتفلون بفصحهم . وبقوا على ذلك الى جلاء بابل فلمـاً عادوا الى وطنهم حفظوا نيسان كبدء سنتهم الدينيَّة واتَّخذوا تشري (اي تشرين) وهو شهرهم السابع كبـدأ سنتهم المدنيَّة . لا سيَّما اذ استولى السلوقيُّون على بلاد الشام وكانوا يتبعون الحساب اليونانيّ لكنهم يبتدئون سنتهم في تشرين الاوّل المسمَّى عندهم غوريبايوس (Hyperbaios)

وكانت السنة الرومانيَّة في اوّل عهد رومية تبتدئ بشهر آذار وتنتهي بكانون الاوّل وهو شهرهم العاشر (Decembris) ثمَّ اصلحوا هـذا الحساب بزيادة شهر دعوهُ مرقيدونيوس (Mercedonius). فلم يفِ هـذا الاصلاح بالمرام حتَّى قام يوليوس قيصر سنة ٤٦ قبل المسيح وبمساعدة الفلكي سوسيجانس قسم السنة الشمسيَّة ١٢ شهراً مع كبس كلّ سنة رابعة . وهذا الاصلاح اخذتهُ الكنيسة على علاَّتهِ وجرى عليهِ النصارى شرقاً وغرباً حتَّى زاد الخلل بتوالي الاجيال وأُصلح الحساب اصلاحاً نهائيًّا بهمَّـة البابا غريغوريوس الثالث عشر فكاد اليوم يعمُّ كلّ البلاد غير الامم المنتمية الى الكنيسة البوزنطيَّة اي اليونان وازوم وروسيَّة والدول البلقانيَّة وكذلك الكنائس المنفصلة عن كرسيّ حامة الرسل

اما رأس السنة عند الرومان فكان واقعاً في بدء شهر كانون الثاني ولم يوافقهم في ذلك كل النصارى فانَّهم عيَّنوا لرأس السنة ايَّاماً مختلفة على اختلاف البلاد بل تقلَّب البلد الواحد في تحديده فانَّ الكنيسة الرومانيَّة تبعت زمناً طويلاً عادة الدولة الرومانيَّة في جعلها اوّل كانون الثاني كبدء سنتها وبعد ان عدلت عنهُ الى عيد ميلاد الربّ بالجسد في ٢٥ كانون الاوّل عادت اليهِ ثانيةً بعد ان فصلت عيد ميلاد الربّ عن عيد الغطاس وجعلت في اليوم الثامن بعد الميلاد عيد ختانة الربّ . وكذلك اتخذت يوم عيد البشارة (٢٥ اذار) كاوّل سنتها السياسيَّة فانَّ الاحبار الرومانيّين في كتاباتهم الرسميَّة يعتبرون هذا اليوم كمفتتح سنتهم . وللكنيسة اللاتينيَّة يوم آخر

لابتداء سنتها الكنسيَّة وذلك في غرَّة كانون الاوَّل لوقوع وقت المجيء فيهِ

وهذه الاختلافات في تعيين رأس السنة تعدَّدت ايضاً في بقيَّة الدول النصرانيَّة فانَّ مارك الروم مع الكنيسة اليونانية جعلوا مفتتح سنتهم في اوَّل ايلول وجرى على ذلك الروس حتى سنة ١٦٩٩ فاتَّخذوا اوَّل كانون الثاني كمفتتح لعامهم. والمملكة الفرنسويَّة جعلت رأس سنتها سنةً يوم عيد ميلاد الربّ ثمَّ عدلت عنهُ الى يوم عيد الفصح حتى اواخر القرون الوسطى فافتتحت سنتها في اوَّل يوم من آذار الى ان فضلَّت عليه بدء كانون الثاني سنة ١٥٦٤. ومثلها المانية وانكلترَّة كانتا تباشران بسنتهما يوم عيد الميلاد ثمَّ اتَّبعتا العادة الرومانيَّة فجعلتاها في اوَّل كانون الثاني: المانية سنة ١٦٩١ وانكلترَّة سنة ١٧٧٢. وكانت اسبانية تجدّد سنتها يوم عيد البشارة فجارت الكنيسة اللاتينيَّة في عادتها سنة ١٥٧٥ مع هولندة وبلجكة اللتين كانتا تبتدئان السنة يوم عيد الفصح. وكذلك دولة البندقيَّة كانت تعيّد راس السنة في اوَّل يوم من اذار ففي سنة ١٧٥٠ ألغت عادة تعييده في كانون الثاني. والارمن لا يزالون حتى اليوم يفتتحون سنتهم في عيد الدنح اي الغطاس

امَّا الدول الاسلاميَّة فانَّ سنتها قمرية محضة كما هو معلوم واوَّل سنتها واقع في محرَّم. الَّا انَّ تركيَّة في السنة ١٧٨٩ عيَّنت لها سنةً ماليـة بدؤها في ١ اذار شرقي وهذه السنة شمسيَّة تابعة للحساب القديم. وكان العرب قبل الهجرة يُنسئون شهرًا من شهورهم كلّ سنتين او ثلث سنين اي يضيفونهُ الى الاشهر القمريَّة لتوافق سنتهم فصول السنة الشمسيَّة ودعوا ذلك الشهر بالنسيء

*

اذ تبيَّنت اختلاف الشعوب في تعيين رأس سنتهم بقي علينا أن نروي شيئاً من العادات الجارية عندهم في اوَّل السنة فنقول:

انَّ البابليين بوضعهم رأس العام في الاعتدال الربيعيّ ارادوا خصوصاً تعظيم الههم مرودخ الذي كان يمثّل لهم الشمس فكأنَّهم نسبوا اليهِ في ذلك الوقت الانتصار على الظلمة كما تغلب الشمس ظلمات الشتاء فيزيد طول النهار على الليل. ومن ثمَّ كانوا في ذلك اليوم يقدّمون التقادم والذبائح للاله الشمسيّ ويستسلمون للافراح لفوزه بالشتاء.

إمّا المصريّون فكانوا يكرمون في ذلك النهار المهتم ايزيس وهي ايضاً معبودة شمسيّة يعتبرون النيل كاحدى هباتها للمصريين فكانوا يعظّمونهُ بضروب التعظيم لانهُ يبتدئ بالزيادة في ذلك اليوم حتى كانوا يلقون فيهِ فتاةً يدعونها عروس النيل يغرقونها لاكرامه . وكان الفرعون في ذلك اليوم يتقبّل هدايا عمّالهِ ويفرّق هو على خواصّهِ ألطافاً شتى

ثمّ توارث الاقباط شيئاً من عادات اجدادهم فكانوا في اوّل يوم من شهر توت وهو النيروز يدقّون البشائر ويقيمون الحفلات المتنوّعة التي وصفها كتبة العرب قال المقريزيّ في الخطط (١ : ٢٦٧) يذكر نيروز القبط:

« النّيروز اوّل السنة القبطية بمصر وهو اوّل يوم من توت وسُمّيهم فيهِ اشمال النيران والتراشّ بالماء وكان من مواسم لَهْو المصريين قديمًا وحديثًا . . والنيروز في اللسان السرياني العيد (١ وسُئل ابن عبّاس عن النيروز لمَ اتخذوهُ عيدًا فقال: انهُ اوّل السنة المستأنفة وآخر السنة المنقضية فكانوا يستحبّون ان يقدموا فيهِ على ملوكهم بالطُّرَف والهدايا فاتخذتهُ الاعاجم سُنّةً . . وقال ابن رضوان: ولمّا كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة ارض مصر رأى المصريّون القدماء وخاصّة الذين كانوا في عهد قلديانوس (ديوقلطيانوس) الملك ان يجعلوا اوّل السنة في اوّل الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الامر الاكثر فجعلوا اوّل شهورهم توت »

وقد بالغ المصريّون في افراح النيروز حتى جعلوها ثلاثة ايّام متواصلة فكانوا يخرجون الى القاهرة ويطوفون في الاسواق ويلعبون بالماء ويصبّهُ بعضهم على بعض ويأتون المنكرات حتى اضطرّ الخلفاء الفاطميّون وغيرهم ان ينهوا عن ذلك وربّما اقتصّوا من الفاعلين وحبسوهم وطافوا بهم على الجمال ليشهروهم لكن تلك العادات كانت تغيب مدّةً ثمّ تعود لتغلّب الاطباع . وممّن وصف النيروز قاضي الفاضل في تاريخ سنة ٥٨٤ (١١٨٨ م) قال:

« . . . ويركب فيهِ (اي النيروز) امير موسوم بامير النوروز ومعهُ جمع كثير ويتسلّط على الناس في طلب رسم رتّبهُ ويرسم على دور الاكابر بالجُسَل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسّمين . . ويجتمع المغنّون تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة ويبدجم الملاهي وترتفع الاصوات ويُشرَبُ الخمر والمزر شرباً ظاهراً بينهم وفي الطرقات ويتراشّ الناس

---

١) والصواب ان النيروز كلمة فارسية مركّبة من لفظتين معناها اليوم الجديد . يقال نَيْروز ونَوْروز

بالماء وبالماء والخمر وبالماء الممزوج بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيهُ من يرشهُ ويفسد ثيابهُ ويستخفّ بحرمته فاماً ان يغدي غسهُ واماً ان يُفضح ». (وقال في تاريخ سنة ٥٩٣ (١١٩٦م) . . . « وجرى الامر في النوروز على العادة من رشّ الماء واستجدّ فيهِ هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع وانقطع الناس عن التصرّف . . . »

ونقل المقريزي عن ابن ميسون في تاريخ سنة ٥١٧ (١١٢٣ م) ما كانوا يقدّمونهُ من الهدايا في النوروز قال :

« ووصلت الكسوة المختصّة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندريّة وما يتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقرّ من الكسوات الرجاليّة والنسائيّة والعين والورق وجميع الاصناف المختصّة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء ارباجها واصناف النوروز البطيخ والرمّان وعناقيد الموز وافراد البسر واقفاص التمر القوصيّ واقفاص السفرجل وبُكَل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضان ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حَبَر برمارق (قال) و حضر كاتب الدفتر المحسابات بما جرت بهِ العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو اربعة آلاف دينار ذهباً وخمسة عشر درهم فضّة والكسوات عدّة كثيرة من شقق ديبقيّة مذهّبات وحريريّات ومعاجر وعصب نسائيّة ملوّنات وسقولاط مذهّب وحريري وسمع وفوط ديبقية حريريّة . فاماً العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمّن تحوزهُ القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمين ورؤساء الشاريّات وبحّارها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب . واماً الاصناف من البطيخ والرمّان والبسر والموز والسفرجل والعنّاب والهرائس على اختلاف اشكالها فيشمل ذلك جميع من تقدّم ذكرهم بشركهم فيهِ جميع الامراء ارباب الاطواق والاصناف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممّن لهم جاه ورسم في الدولة »

ولم يكن الفرس اقلّ نشاطاً من المصريين في تعييد نيروزهم ولعلّهم جعلوهُ في الاعتدال الربيعيّ كالبابليين تبجيلاً لهرمز اله النور الذي كانوا يعبدونهُ في صورة الشمس والنار . وذكر القزوينيّ في عجائب المخلوقات انّ الفرس « كانوا يزعمون انّ الله ادار الافلاك وسيّر الشمس والقمر وسائر الكواكب في هذا اليوم ». وجاء في كتاب اعياد الفرس لابن حمزة الاصفهانيّ انّ « اوّل من اتّخذ النيروز جمشيد احد ملوك الفرس الأوّل » . وكان الفرس يتفاءلون بهِ ويتبركون بالنظر الى شمسهِ ويزعمون انّهُ يوم مختار لانّهُ مسمّى بهرمز وهو اسم المهم « الصانع المتقن الربّي للدنيا واهلها » . وكانوا في هذا اليوم يتهادون الحلواء ويأكلون السكّر ويدّهنون

بالزيت . ورُوي انهُ قُدّم لعلي شيء من الحلاوى فسألَ عنهُ فقالوا : للنيروز . فقال : نَيْرِزُونا كل يوم . قال البيروني في الآثار الباقية (ص ٢١٦) :

« وكان النيروز فيهِ جرى الرسم بتهادي الناس فيما بينهم السكّر . والسبب فيهِ كما حكى آذرباذ مَوْبذ بنداد انَّ قصب السكّر انما ظهر في مملكة جَمْ (ملك الفرس) يوم نيروز ولم يكن يُعرف قبل ذلك الوقت وهو انهُ رأى قصبة كثيرة الماء قد نبتت شيئاً من صارصا فذاقها فوجد فيها حلاوة لذيذة فامر باستخراج مائها وعُمل منها السكّر . . . وصادوهُ تبرُّكاً بهِ »

وكانت سُنّتهم ايضاً في النيروز صبّ الماء فيهِ ويزعمون انَّ في هذا اليوم قسم الله السعادات لاهل الارض . وكان الملك يجلس فيهِ ويأتيهِ كلّ واحد من خدمهِ وحشمهِ بطرفة تعجبهُ . قالوا وكان الملك اذا استيقظ من نومهِ جعلوا امامهُ غلاماً حسن الوجه راكباً على فرس حسن على يدهِ بازي حسن ليقع نظرهُ على اشكال حسنة يتيمَّن بها

ومن غريب ما روى البيروني في الآثار الباقية عن الفرس في اصل يوم النيروز (ص ٢١٥) زعمهم :

« بان سليمان بن داود كان افتقد خاتمهُ فذهب عنهُ ملكهُ ثمَّ رُدَّ اليهِ بعد اربعين يوماً فعاد الى الملك جاؤهُ واتتهُ الملوك وعكفت عليهِ الطير فقالت الفرس « نَوْروز آمَدْ » اي جاء اليوم الجديد فسُمّي النوروز . وامر سليمان اربع فحملتهُ واستقبلهُ خطّاف فقال : أيها الملك انَّ لي عشّاً فيهِ بَيْضات فأعدِل لئلّا تُحطّمها . فعدل ولما نزل حمل الخطّاف في منقارهِ ماء فرشّهُ بين يديهِ واهدى لهُ رجل جرادة فذلك سبب رشّ الماء والهدايا في النوروز »

واهل الهند والصين كانوا يقومون في بدء العام بمظاهرات شائقة فكان ملك الهند يخرج في موكب عظيم راكباً على فيل ابيض يتقدّمهُ الجند والامراء وكذلك ابن ماء السماء كان يسير برونق جيش وكلاهما يدخل هيكل آلهتهِ لشكرهم ويقدّم الذبائح لاستلطافهم ثمَّ يكرم على العامّة بالهبات والعطايا فتُنار المدينة ليلاً وتتشح بابهى الاقمشة والحلي نهاراً وتصدح آلات الطرب وتُطلق الفراقيع النارية

وان تقرّبنا من بلادنا الشامية وجدنا الفينيقيين يزينون سواحلهم وسفنهم في رأس العام وكان يضحّون حينئذٍ للبعل ضحاياهم

اما العبرانيّون فلا يذكر الكتاب المقدّس لهم حفلةً في اوّل سنتهم الدينيّة

نيسان . امَّا السنة المدنيَّة البادئة في شهرهم السابع اي تشرين فانَّ يومهُ الاوَّل كان عندهم عيدًا حافلًا كما ورد في سفر الاحبار (٢٣ : ٢٤) حيث قال الله لموسى : « مُرْ بني اسرائيل قائلًا في اليوم الاوَّل من الشهر السابع يكون لكم عُطلةٌ تَذكارُ هتاف البوق محفلٌ مقدَّس . عملَ خدمةٍ لا تعملوا فيهِ وقرِّبوا وقيدةً للربِّ » . وبقي اليهود على ذلك حتَّى يومنا قال البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية (ص ٢٧٥) . « واوَّل يوم (من تشرين عند اليهود) عيد رأس السنة يُنفَخ فيهِ بالبوق والسوافر وهي قرون الكباش ويبطل فيهِ العمل كما يبطل في السبوت وفيهِ زعموا قرَّب ابراهيم ابنهُ اسحاق عليهما السلام فُندي بالكبش .

وقد عُرف هذا اليوم عند الربَّانيين بعيد الابواق لنفخهم فيها في ذلك اليوم : وفي زعمهم انَّ فيهِ تكون الدينونة الاخيرة حيث يدق الملائكة بالابواق ليدعوا الموتى

وكما كان اليهود يعظِّمون رأس سنتهم كذلك العرب عظَّموا اليوم الاوَّل من محرَّم لانهُ غرَّة الحول ومفتتح السنة عندهم . قال القزويني في عجائب المخلوقات (ص ٦٧) : « محرَّم شهر مبارك قيل انهُ سُمي محرَّمًا لحرمة القتال فيهِ فاليوم الاوَّل منهُ معظَّم عند ملوك العرب يقعدون للهناء كما انَّ اليوم الاوَّل من سنة الفرس وهو النيروز معتبر عندهم » . وكان قدماء العرب في الجاهليَّة يدعون الشهر الاوَّل المؤتمر . قالوا دُعي بذلك لانهُ يأتمر بكل شيء مما تأتي بهِ السنة من اقضيتها " كأنَّهم يحكمون بين السنة او شؤنها من مطلعها

الَّا انَّ الذين اشاعوا اكثر من سواهم عادات الافراح الجارية في رأس السنة انَّما كانوا الرومان فانهم لمَّا اصلحوا كانداهم وجعل يوليوس قيصر ابتداء سنتهم في كانون الآخر اتَّخذوا ذلك اليوم كعيد عظيم وخصُّوهُ باقدم آلهتهم يانوس او جانوس (Janus) ومنهُ اشتقُّوا اسم الشهر الاوَّل يناريوس او يناير فاعتبروهُ كالاله البادئ لكل شيء والمفتتح لكل الامور وكانوا يمثلونهُ رأسًا بوجهين كانهُ يرى الماضي والمستقبل وجعلوهُ كاله السلام واقاموا لهُ هيكلًا كبيرًا يفتحون ابوابهُ طالما الدولة مشغولة بحرب مع غيرها ويقفلونها في ايَّام السلام . وفي هذا اليوم كان ملوكهم الاوَّلون يقدِّمون للاله يانوس ألطف الهدايا من جملتها اغصانٌ من الزيتون والغار يقطعونها من غابة قريبة لالهة الصحَّة المدعوَّة ستَرينا (Strena) كانَّهم يطلبون لسنتهم العافية

والاقبال ومنها اشتقّ الرومان اسم هدايا رأس العام (strenæ) التي دخلت في بقيّة اللغات الاوربيّة كالايطاليّة (strenna) والافرنسيّة (étrennes) . فكان يجلس الملك او القيصر في ذلك اليوم فيهديه مجلس البلد الهدايا الغالية الثمن وكان هو ايضاً يفرّق على ملازميه ضروب الهبات . وقد تفنّن الرومان في هدايا رأس السنة فكانوا يصطفون ما يُرمز به الى بركة السنة فكانوا غالباً يهدون الرُطب والتين والعسل لحلاوة طعمها كأنهم يتمنّون لبعضهم سنةً سعيدة طيّبة وكثيراً ما كانوا يرسلون لبعضهم تلك الهدايا مغطّاة بورق الذهب ويضيفون اليها قطعة من النقود الفضيّة او الذهبيّة . ثمّ جرت العادة ان يتهادوا السُرُج الخزفيّة اشارةً الى نورها وضوئها لتكون السنة نيّرةً زاهية لاصحابها وكانوا يرسمون على تلك الاسرجة ادعيةً كقولنا « عام ميمون وسنة مباركة » . وكان غيرهم يستبدلها بصور وتماثيل وصفائح من الشمع يكتبون عليها الفاظ التهاني او يرسمون الرسوم المبهجة . وشملت عادة تلك الهدايا كافّة الرومان فيهديها الاولاد لآبائهم والعبيد لسادتهم واهل الحرف لاساتذتهم . وفي ذلك اليوم كان الكهنة يدعون الشعب ليوقفوه على اعياد الشهر وكذا كانوا يفعلون في بدء كلّ شهر فدُعي اليوم الاوّل « كالندس » اي يوم الدعوة . لكنّ الرومان الوثنيين لم يلبثوا ان تماطعوا في ذلك اليوم من اللهو واللعب ما كانوا يخرجون فيه عن حدّ الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور

فلمّا ظهرت النصرانيّة واتّبعت الكنيسة الرومانيّة ثمّ بقيّة الكنائس حساب السنة الرومانيّة اخذ بعض النصارى في اوّل شهر يناير يشاطرون مواطنيهم المشركين افراحهم حتى خيف على ايمانهم ولذلك ترى الآباء في مياسرهم ومواعظهم كالقديسين يوحنا ذم الذهب وامبروسيوس واوغسطينوس كثيراً ما يزجرون اولئك المسيحيين المتحنفين في رأس السنة الوافقين لاهل الشرك في عاداتهم المستهجنة . وبناء عليه فرضت الكنيسة في ذلك اليوم على ابنائها الصوم والصلاة تكفيراً عن مآثم الوثنيين . قال القديس اوغسطينوس في شرحه للمزمور الثامن والتسعين : « انّنا في رأس العام نصوم لكي ننقطع الى الحزن والتوبة بينما يستسلم المشركون لافراحهم » . وقد ورد مثل ذلك في اعمال غيره من آباء الكنيسة . وكذلك المجامع المكانيّة فرضت الصلوات والطلبات والصيامات في رأس العام الرومانيّ وتهدّدت بالحرم

النصارى الذين لا ينقطعون عن عادات الرومان اوثنيين وبقيت تلك السُّنن مرعيَّةً الى القرن السابع كما يلوح من مجمع طور في فرنسة سنة ٥٦٧ ومجمع القسطنطينيَّة سنة ٦٩٢

فلمَّا سقطت دولة الرومان واندرست آثار الشرك في اوربَّة ابطلت الكنيسة شيئاً فشيئاً تلك التقدُّمات لا سيما اذ جعلت في رأس سنتها عيد ختانة الربّ وختمت بهِ الايَّام الثمانية المختصَّة بميلاد السيِّد المسيح فعاد اوَّل العام عيدًا بهيجاً متزَّهاً عن قبائح عبدة الاوثان واستأنف النصارى عادة التهادي ومبادلة الالطاف

وكذلك انتشرت تلك العادات في الشرق وكانوا يدعون رأس السنة قلنداس وهو الاسم اللاتيني السابق ذكرهُ منصوباً (Kalendas) وخصُّوا بهِ اوَّل كانون الثاني حتى بعد نقل سنتهم الى شهر آخر. قال القزويني في مطاوي ذكرهِ لاشهر الروم وقد جعل اوَّلها تشرين الثاني فقال عن كانون الثاني (عجائب المخلوقات ص ٧٦):

« في اليوم الاوَّل منهُ يُرجى المطر وفيهِ القلنداس بالشام يوقدون في الليلة نيرانًا عظيمة وكذلك في سائر بلاد النصارى سيما بانطاكية فانَّها اوَّل مدينة بدأت بها الملَّة النصرانيَّة »

ومثلهُ المسعودي في مروج الاخبار (٣:٤٠٦) . وقال البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٩٢):

« كانون الآخر في اليوم الاوَّل منهُ . . . عيد القلنداس. وتفسير قالندس خيرًا كان (١. وفيهِ يجتمع صبيان النصارى ويطوفون في بيوتهم ويخرجون من دار الى اخرى ويقولون: « قالندس قالندس » بصوتٍ عالٍ ولحن فيُطعَمون في كلّ دار ويُسقَون اقداحاً من الشراب فبعضٌ يزعم انَّ ذلك لانهُ رأس السنة عند الروم وهو قيام الاسبوع من ولادة مريم. ويزعم بعضٌ انَّ آريوس لمَّا ظهر وأيُهُ وتابعهُ من تابعهُ استولى على بيعة من بيعهم فخاصمهُ اهلها ثمَّ تراضَوا واصطلحوا على ان يغلقوا باجا ثلاثة ايَّام ثم يجيئونهُ سرًّا ويقرأون عليهِ بالثوب فمن انفتح لهُ الباب فهو مستحقُّها ففعلوا ذلك ولم ينفتح لآريوس وانفتح لهم زعموا. فلذلك يفعل صبيانهم ما يفعلون تشبيهاً بالبشارة التي بُشّروا بها في ذلك الوقت »

وكذلك ذكر البيروني (ص ٣٢٠) انَّ الصابئين القاطنين في سواد العراق جعلوا

---

١) والصواب انَّ قالندس معناها الدعوة كما سبق لانَّهم كانوا يدعون الشعب ليطعموهُ باعياد الشهر الجديد وكانت هذه الدعوة في شهر يناير احفل واجمع من سواها كما مرَّ ولذلك سمَّاهُ الروم ايضاً عيد القلنداس (Χαλανδῶν ἑορτή)

اليوم الاوّل من هلال كانون الآخر عيد رأس السنة كالقلنداس للروم

وكأنَّ هذه العادات التي ذكرها العرب في يوم قلنداس توالت على كرور الزمان بين اهل الشام فيوقد بعضهم انوار النيروز في القرى ويطلب صغارهم في ذلك اليوم هديَّة يدعونها بالصباحيَّة اي هديَّة صباح السنة الجديدة . وشاع ايضاً بينهم اسم البسترينة بمعناها وهم استعاروها من الرسايين الفرنج لا سيما الايطاليين فاشتقُّوها من كلمة (strenna) مع زيادة الباء في اوّلها دلالةً على زمن تلك الهدايا

واكثر العادات شيوعاً في ايّامنا تبادُل الناس بالزيارات والمكاتبات الوديَّة وإتحاف بعضهم بعضاً بالألطاف وتبرُّع المخدومين لخدَمتهم بشيء من المال

ولوقوع عيد ختانة الربّ في هذا اليوم تقيم الكنيسة الرتب الدينية وتدعو ابناءها ليشكروا الله على ما أنعم عليهم به من البركات في عامهم المنصرم ويلتمسوا من مراحمه ان يعقبهُ بعام ميمون فيدرأ عنهم النكبات والبلايا واضرار النفس والجسد فتكون تلك الفرائض الدينيَّة كباكورة سنتهم ويكون الربّ مبدأ افراحهم وخاتمتها وهو الاوّل والآخر " فالسماوات تزول وهو يبقى وكلها تبلى كالثوب ويطويها كالرداء فتتغيَّر وهو هو وسنوهُ لن تفنى " (عبر ١ : ١١) . فلالهنا البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوَّة والقدرة الى دهر الدهور آمين (رؤيا ٧ : ١٢)

انين الثكلى

مع فقرات ثلاثة بنيها . رواية واقعية تبيّن بعض نكبات المهاجرة

بقلم حضرة القس بطرس سادَّة الراهب الماروني اللبناني

الام

ألا مَنْ لي بدمع مثل بحرٍ اخوضُ غمارهُ في جمع درّ
لانظمَ عِقدهُ في سلك شعرٍ وانثرَ منهُ فوق صفيح قبرِ
يضمُّ أحبَّتي وحُماةَ امري
يضمُّ برمسهِ خيرَ البنينِ شباباً ضارعوا أُسد العرينِ